

مفهوم التقرير بين المذاهب الإسلامية.. التجربة، والتطور، والمعنى

مفهوم التقرير بين المذاهب الإسلامية.. التجربة، والتطور، والمعنى

زكي الميلاد

رئيس تحرير مجلة الكلمة - السعودية

- ١ -

مفهوم التقرير في دائرة الشك

تشتد اليوم موجة التشكيك حول مفهوم التقرير، بوصفه مفهوماً يتصل بمحال العلاقات بين المذاهب الإسلامية، ولأول مرة ترتفع وتيرة هذه الموجة من التشكيك، وبهذه الصورة التي تقاد تجاهل هذا المفهوم الخلاق، وتضيق الخناق عليه، وتسليبه منه فضيلته وقيمتها، وتضعه في دائرة الاتهام والمساءلة.

ولا شك أن هذه الموجة من التشكيك، واستدادها وارتفاع وثيرتها اليوم، جاءت متأثرة بطبعية الأوضاع والظروف المتأزمة في مجتمعات المسلمين، التي نشهد فيها ما يمكن تسميته بانفجار المشكلة المذهبية أو الفتنة المذهبية، المشكلة التي باتت شديدة الظهور والانكشاف.

ولأول مرة في التاريخ الإسلامي الحديث، وتحديداً منذ بداية القرن العشرين تظهر هذه المشكلة بهذا الانكشاف، وبهذا الانساع المخيف والمرعب، الذي بات يقلق جميع العقلاة والحكماء في الأمة، وكل المتنورين والمصلحين.

وعند النظر في هذه التشكيلات، يمكن التوقف أمام ثلاثة أنماط منها، تختلف من حيث الدرجة والشدة، ومن حيث البواعث والخلفيات، ومن حيث منظورات الرؤية، وهذه الأنماط هي:

أولاً: هناك من يرى أن مفهوم التقرير كان وما زال مفهوماً ملتبساً، منذ الإعلان عنه في أربعينيات القرن العشرين إلى اليوم، بشكل يصعب الإمساك بمضمونه، والاتفاق على هويته وما هيته، ونظراً لهذا الالتباس فإن المقولات الاحترازية هي التي تتقدم عند بيان هذا المفهوم، وشرحه من قبل المنخرطين في عملية التقرير.

وهذا القدر ليس كافياً في تحديد المفهوم وضبط مضمونه، والاتفاق عليه، ولكن هذا المفهوم بقي ملتبساً، فإن التباسه يمثل أحد عوامل عدم تحقق وتحقيق مضمونه فعلياً على الأرض، وفي ساحة المسلمين ([1]).

ثانياً: هناك من يرى أن مفهوم التقرير أصبح مفهوماً يرجع بنا إلى الوراء، و يجعلنا ننظر إلى الخلف، وتحديداً إلى تجربة دار التقرير في أربعينيات القرن العشرين، في حين أن الأوضاع العامة للأمة اليوم اختلفت كلباً وعلى المستويات كافة، وأصبحت أكثر تعقيداً.

وطهرت في ساحة المسلمين مشكلات وأزمات خطيرة للغاية، أدت في بعض الحالات، وفي بعض المجتمعات إلى حالة من الاقتتال، وهددت ولأول مرة بحصول حروب دينية بين المسلمين، وهذا ما لم يحصل في كل التاريخ الإسلامي.

ومن جهة أخرى، تغيرت صورة العالم في ظل عصر العولمة، وثورة المعلومات، وفي ظل التطورات المذهلة في شبكات الإعلام، وتكنولوجيا الاتصال، إلى جانب أننا انتقلنا من القرن العشرين إلى القرن الحادي والعشرين.

الوضع الذي يقتضي عند القائلين بهذا الرأي، البحث عن مفهوم آخر غير مفهوم التقرير، يكون أكثر وفاء واستجابة لهذه التطورات والوضعيات الراهنة في الأمة والعالم، وفي هذا الصدد هناك من يدعوا إلى مفهوم التأخي بين المسلمين كبديل لمفهوم التقرير، ولعل هناك من يدعوا إلى مفهوم آخر أيضاً.

ثالثاً: هناك من أظهر تحفظاً على مفهوم التقرير، واعتراضاً عليه أحياناً، وتبني بدلاً منه مفهوم التعايش، وجاء هذا الموقف على خلفية أن مفهوم التقرير لكونه يتصل بال المجال الفكري والمذهبي والكلامي، وهذا من غير الممكن، في حين أن مفهوم التعايش لكونه يتصل بال المجال الاجتماعي وله علاقة بالسلم الاجتماعي، فإنه ممكن، ويمثل ضرورة من هذه الناحية.

وقد تبلور هذا الموقف في ساحة أولئك الذين طلوا بعيدين عن مسلك التقرير، وكانوا يبدون تحفظاً على هذا النمط من العلاقة بين المذاهب الإسلامية، ولا يرغبون في تطوير العلاقة إلى مستويات متقدمة، ويطالبون بالحد الأدنى من هذه العلاقة، والتي تتحدد حسب منظورهم في مفهوم التعايش.

والتغير الذي حصل في هذا الشأن، أن أصحاب هذا الموقف كانوا سابقاً يتحفظون على مفهوم التقرير وبعترضون عليه، ويشكرون فيه، من دون تبني مفهوم آخر يكون بدليلاً عنه من جهة، ومتناجماً مع مسلكهم الفكري من جهة أخرى، وحديثهم اليوم عن مفهوم التعايش بهذا القدر يمثل تطوراً في موقفهم الفكري.

هذه لعلها أبرز أنماط الشكوك التي يمكن التوقف عندها، وهناك أنماط أخرى جرى النقاش عنها من قبل، وتطرح من خارج ساحة التقرير، ومن البعيدين عنه نفسياً وفكرياً، من قبيل أن التقرير يستدعي تقديم تنازلات، وهذا ما يرفضه هؤلاء حسب منطقهم، ومن الفريقيين سنة وشيعة، ومن قبيل أن الاختلاف بين المسلمين السنة والشيعة هو اختلاف

أصول وليس اختلاف فروع حتى يجري التقرير بينهم، في حين أن التقرير جاء للبرهنة على أن هذا الاختلاف هو اختلاف فروع، وليس اختلاف أصول، إلى جانب اعترافات أخرى تطرح بعيداً عن ساحة التقرير.

- 2 -

مفهوم التقرير.. الخبرة والتجربة

لمناقشة هذه الشكوك ومحااجتها، لابد من معرفة أن مفهوم التقرير لم يأت من فراغ، ولم يكن مجرد مفهوم عابر أو ساكن أو جامد أو بلا تاريخ وبلا سياق تاريخي، كما لم يكن مجرد مفهوم لغوي لا أصل له ولا أساس إلا في معاجم اللغة، ولم يكن أيضاً مجرد مفهوم ذهني تجريدي لا أصل له ولا أساس إلا في عالم الذهن، وهذا ما يعرفه كل من تعاطى واقترب من هذا المفهوم، حتى أولئك المشككين فيه، والمتحفظين عليه.

وما هو معروف أن مفهوم التقرير في هذا الشأن الذي نتحدث عنه، إنما جاءنا على خلفية الارتباط بتجربة حبة وثرة، امتدت في عمرها الزمني ما يقارب ربع قرن، هي تجربة دار التقرير بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، التي أعلنت عن نفسها في النصف الثاني من الأربعينيات، واستمرت فاعلة وحاضرة حتى مطلع سبعينيات القرن العشرين.

وتعود هذه التجربة من جهات عديدة، أهم تجربة ظهرت خلال القرن العشرين في مجال تحسين العلاقات بين المذاهب الإسلامية وإصلاحها وتطویرها، ومثلت في وقتها حدثاً تاريخياً لا يمكن تجاوزه على الإطلاق، أو المرور عليه وعدم الاكتثار به، وإنما حدثاً يؤرخ له في ساحة الفكر الإسلامي المعاصر، من جهة تطور العلاقات بين مذاهب المسلمين. ولم تكن هذه التجربة مجرد حدث شكلي مفرغ من المحتوى والمضمون، ولم تكن مجرد حدث ظهر إلى الوجود وسرعان ما طمس ولفه النسيان، كما لم تكن مجرد حدث عادي ظل ويفي بلا أثر أو تأثير، بل كانت تجربة في غاية الأهمية، كشفت عن عطاء فكري وعلمي وديني وأخلاقي هو من ألمع وأثمن عطاءات الفكر الإسلامي المعاصر في مجال الوحدة والتفاهم والتآلف بين المسلمين، والتقرير بين المذاهب الإسلامية.

العطاء الذي تجلى متخلقاً في مجلة (رسالة الإسلام)، لسان حال دار التقرير، التي صدرت سنة 1949م، واستمرت في الصدور أكثر من عقدين، وتوقفت كلياً سنة 1972م، وصدر منها ستون عدداً، وتولى إدارتها ثلاثة من الأسماء المصرية المعروفة التي ارتبطت بدار التقرير، وهم الشيخ عبد العزيز عيسى، والدكتور محمد محمد المدبّي، والأستاذ علي السيد الجندي.

ومن يمعن النظر في هذه المجلة، التي اتخذت من آية (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدهون) ([2]), شعاراً لها، يجد أنها قدمت أصفي وأنقى وأفضل تراث يمكن الرجوع إليه خلال التاريخ الإسلامي الحديث في مجال التقرير بين المذاهب الإسلامية، فهي تدهش بمستوى تخلق خطابها المفعّم بروح التقارب والتفاهم والتآلف، ونبذ كل أشكال التباعد والتعصب والتفرق.

التراث والخطاب الذي ما زال الفكر الإسلامي المعاصر بحاجة إلى العودة إليه، والاستلهام منه، والتواصل معه، والبناء عليه.

هذا من جهة الخطاب، أما من جهة الأشخاص فقد ارتبطت تجربة دار التقرير بمجموعة من الأشخاص هم من صفو علماء الأمة في عصرهم، أربعة منهم تعاقبوا على مشيخة الأزهر وهم على التوالي: الشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ مصطفى عبد الرازق، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت.

إلى جانب هؤلاء كان أيضاً، الشيخ عبد العزيز عيسى، والشيخ حسن البنا، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ أحمد حسن الباورى، والشيخ محمد الغزالى، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز، والشيخ عبد الوهاب خلاف، والشيخ على الخفيف، والشيخ محمد محمد المدنى، والأستاذ محمد علي علوية باشا، والشيخ أمين الحسينى من فلسطين، والشيخ محمد تقي القمي من إيران، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من العراق، والسيد عبد الحسين شرف الدين، والشيخ حبيب آل إبراهيم، والشيخ محمد جواد مغنية من لبنان، إلى جانب آخرين أيضاً.

وكانت بين هؤلاء الأشخاص درجة عالية من التفاهم والتآلف والتواحد قل نظيره، وتجلى ذلك في العديد من المواقف والصور، ومن هذه الصور ما أشار إليه الشيخ محمود شلتوت وهو يتحدث عن الاجتماعات التي جرت في دار التقرير، وبصفتها بقوله: كان (يجلس المصري إلى الإيراني، أو اللبناني، أو العراقي، أو الباكستاني، أو غير هؤلاء من مختلف الشعوب الإسلامية، وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعى والحنفى بجانب الإمامى والزيدى، حول مائدة واحدة تدوى أصوات فيها علم، وفيها أدب، وفيها تصوف، وفيها فقه، وفيها مع ذلك كله روح الأخوة، وذوق المودة والمحبة، وزماله التعليم والعرفان) ([3]).

وحين يتذكر الشيخ محمد تقي القمي أول اجتماع بدار التقرير، بعد ثلاثة عشر عاماً على نشأتها، يرى فيه أنه (أول اجتماع من نوعه في الإسلام، جلس فيه علماء من السنة والشيعة حول مائدة واحدة، في هدوء العلماء المتضلعين، وفي وجوههم تصميم المجاهدين، وقلبوها وجوه الرأي لعلاج داء التفرق على هدي رسالة الإسلام، والمبادر الإسلامية، فكتبوا بعلمهم هذا فصلاً من فصول التاريخ الإسلامي المجيد) ([4]).

ومن أبلغ هذه الصور، ما ورد في سيرة الشيخ محمد تقي القمي، حين بلغه تعرض الدكتور محمد محمد المدنى رئيس تحرير مجلة (رسالة التقرير)، وعميد كلية الشريعة بالأزهر، إلى حادث سير خطير في دولة الكويت ونقل إلى المستشفى، نقل على لسان الشيخ القمي قوله: (حين بلغني نباء الحادث تجمعت هموم الدنيا في قلبي، ورحت أتصرّع إلى الله سبحانه أن يشفيه، وحين جن الليل فرشت سجادتي، وجلست أتصرّع إلى الله أن يقبل مني حياتي فداء لحياة الشيخ المدنى، وأن يتوفى بيده، لأنّه أفعى مني إلى الإسلام والتقرير، لكن الله سبحانه شاء أن يتوفى الشيخ المدنى وينتقل إلى جوار رحمته) ([5]).

وما نخلص إليه في هذا الجانب، أن مفهوم التقرير هو مفهوم يستند على تراكيمات تجربة ثرية وغنية، تلاقحت فيها وتباورت العديد من الأفكار والمفاهيم، والعديد من المناهج والنظريات، والعديد من الخبرات والممارسات، بحيث يمكن القول إن مفهوم التقرير بات يعبر عن خبرة نظرية وتطبيقية ممتدة في المكان والزمان، وعبرت إلى العديد من البيئات والمجتمعات التي تواصلت مع دار التقرير.

ما بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، ظهر في ساحة المسلمين مفهومان أساسيان لهما علاقة بمحاجلة وحدة المسلمين، وهما مفهوم الجامعة الإسلامية الذي كان المفهوم الأبرز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومفهوم التقرير بين المذاهب الذي كان المفهوم الأبرز في النصف الأول من القرن العشرين.

وعند النظر في هذين المفهومين من جهة المعنى والبنية والسيقان، يمكن تحديد المفارقات التالية:
أولاً: ارتبط مفهوم الجامعة الإسلامية بمرحلة دولة الخلافة العثمانية، بينما ارتبط مفهوم التقرير بمرحلة ما بعد تلاشي دولة الخلافة العثمانية، وقيام الدولة القطرية الحديثة السائدة اليوم في العالمين العربي والإسلامي.
ثانياً: إن مفهوم الجامعة الإسلامية كان ناظراً إلى الأمة من جهة منظور الدولة، والمقصود بها دولة الخلافة العثمانية، وجاء بقصد حماية هذه الدولة، والحفاظ على وحدة كيانها بوصفها دولة جامعة للمسلمين.
في حين أن مفهوم التقرير كان ناظراً إلى الأمة من جهة منظور المذهب، وجاء بقصد التقرير بين مذاهب المسلمين، وإصلاح العلاقات فيما بين أتباع هذه المذاهب.

ثالثاً: إن مفهوم الجامعة الإسلامية كان ناظراً بشكل أساسى إلى التحدي الخارجي، والمتمثل تحديداً في التحدي الأوروبي الذي كان يهدف إلى تفتت دولة الخلافة العثمانية، وتمزيق كيان العالم الإسلامي تمزيقاً للسيطرة عليه، والتحكم في ثرواته.

في حين أن مفهوم التقرير كان ناظراً بشكل أساسى إلى التحدي الداخلي، والمتمثل تحديداً في تنازع طواهر التعصب والتفرق والتباعد بين أتباع مذاهب المسلمين.

رابعاً: إن مفهوم التقرير من الناحية التاريخية، حل مكان مفهوم الجامعة الإسلامية في مجال العلاقة بين المسلمين، وذلك بعد تلاشي دولة الخلافة العثمانية، وغياب السيد جمال الدين الأفغاني الذي ارتبط به مفهوم الجامعة الإسلامية، وكان المحرك له، والمتمثل لروحه.

يعنى أن التقرير هو المفهوم الذي اكتسب أوسع شهرة بعد مفهوم الجامعة الإسلامية، ومن جانب آخر، فإن مفهوم التقرير جاء امتداداً لمفهوم الجامعة الإسلامية، واستمراراً للنهج الفكري والإصلاحي الذي عبر عنه مفهوم الجامعة الإسلامية.

فالشيخ محمد تقي القمي حينما وصل إلى القاهرة أول مرة سنة 1938م، واتصل بعلماء الأزهر آنذاك، الذين كانوا إما من تلامذة الشيخ محمد عبده، وإما من المتأثرين به والمنتسبين لمدرسته الفكرية، وأنه أراد بهذه الخطوة أن يستعيد ويستكمل الدور الذي نهض به الأفغاني من قبل، حين وصل إلى القاهرة أول مرة سنة 1286هـ، واتصل بالشيخ محمد عبده وبعلماء الأزهر آنذاك، ومنها كانت انطلاقة حركته الإصلاحية، التي عرفت فيما بعد بمدرسة الجامعة الإسلامية.

هذه الذاكرة التاريخية لم تكن بعيدة أو غائبة عن إدراك الشيخ القمي، وذلك بناء على خلفية أن معظم أو جميع الذين سلكوا نهج الدفاع عن وحدة الأمة، ونبذ كافة أشكال التعصب والتفرق والتباعد بين المسلمين، كان الأفغاني

بصورة من الصور في ذاكرتهم، بوصفهم أحد أكثر المصلحين في تاريخ العالم الإسلامي الحديث دفاعاً عن وحدة الأمة، حيث اتخد من الجامعة الإسلامية خطاباً ونهجاً وسلكاً لحركته الإصلاحية.

وأشار إلى هذه الذاكرة التاريخية في إدراك الشيخ القمي، المؤرخ اللبناني الشيخ جعفر المهاجر الذي وجد تشابهاً ما بين خطوات القمي والأفغاني، فالشيخ القمي وصل إلى لبنان قبل ذهابه إلى مصر ومكث فيها سنتان من سنة 1936م إلى سنة 1938م، بقصد إتقان اللغة العربية، ومن قبل ذهب الأفغاني إلى مدينة النجف العراقية قبل ذهابه إلى مصر، بقصد الاستزادة في تعلم العلوم العربية والإسلامية ([6]).

وما نخلص إليه في هذا الجانب، أن التقرير مفهوم يستند على خبرة تاريخية وسياق تاريخي يبرز أهميته وقيمه، ويكشف عن أبعاده وجوانبه، ويلفت النظر إلى طبيعة حقله الدلالي، ولم يكن مجرد مفهوم ساكن أو جامد، ولا مفهوم معلق في الهواء بلا تاريخ وبلا سياق تاريخي، الأمر الذي يعني أن تكوين المعرفة بهذا المفهوم، لا ينبغي أن يكون بعيداً عن سياقه التاريخي.

- 4 -

مفهوم التقرير.. بقاء وديومة
حافظت فكرة التقرير، منذ ابتعاثها في أربعينيات القرن العشرين على بقائها وثباتها، ودخلت حيز المجال التداولي ولم تفارقه، وأصبحت واحدة من أبرز المفاهيم في قاموس الوحدة الإسلامية، وتمسك بها المصلحون، وتنادي إليها المتنورون، واعتمض بحيلها المتعقلون، الذين ظلت ألسنتهم تلهج بها، وأفئدتهم تهفوإليها.
وتجدد ابتعاث هذه الفكرة، حين أعلن عن تأسيس المجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الإسلامية في طهران سنة 1990م، الذي مثل أعظم استلهام لروح جماعة التقرير في القاهرة، ويرى نفسه أنه جاء امتداداً لها، وإحياء لفكرتها، واستكمالاً لرسالتها، واستمراراً لنهجها، وتعظيماً لرجالها.

ويذكر في هذا الشأن، أن المؤسسين لهذا المجمع وقبل الإقدام على هذه الخطوة، وجدوا أن الالتزام الأدبي والأخلاقي يدعوهם للعودة إلى الشيخ محمد تقي القمي، وأخذ استشارته بوصفه رائد فكرة التقرير في القرن العشرين، وحسب رواية السيد هادي خسروشا هي الذي كان على تواصل مع الشيخ القمي، فإنه قد رحب بهذا المبادرة وشجع عليها.
ويعقب السيد خسروشا هي أن هذا التكريم للشيخ القمي باستشارته والعودة إليه، قد بعثت فيه حالة من الحيوية والنشاط، دفعته إلى التحرك من جديد على طريق التقرير، حتى أنه فكر في العودة إلى القاهرة مجدداً لاستئناف نشاطات دار التقرير، لكن الحادث المؤسف الذي تعرض له في أحد شوارع باريس سنة 1990م، وأدى إلى وفاته حال دون ذلك ([7]).

ومجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الإسلامية، يعد اليوم أكبر مؤسسة إسلامية تعنى بشؤون التقرير على مستوى العالم الإسلامي، ولديه العديد من المؤسسات والنشاطات، منها مركز للتحقيقـات والدراسات العلمية تأسـس في مدينة قم سنة 1991م، نـشر العـديد من الكـتابـات والـدرـاسـات المـحقـقة، وـتـبـعـ له جـامـعـة عـلـمـيـة باـسـم جـامـعـة المـذاـهـب الإـسـلامـيـة تـأسـسـتـ في طـهـرانـ سنة 1992ـم، وـتـكـونـ من ثـلـاثـ كـلـيـاتـ هيـ: كـلـيـةـ الفـقـهـ وـالـحـقـوقـ، وـكـلـيـةـ عـلـومـ القرآنـ وـالـحـدـيـثـ، وـكـلـيـةـ

الكلام والفلسفة والأديان، وتدرس فيها كافة المذاهب الإسلامية المعترف بها في منظمة المؤتمر الإسلامي، وتصدر عنه مجلة متخصصة بعنوان (رسالة التقرير) تصدر كل شهرين، وينظم سنوياً مؤتمراً دولياً يقام في طهران، إلى جانب العديد من النشاطات الأخرى.

وما يدعم فكرة التقرير اليوم، أن هناك تياراً واسعاً في الأمة لديه إيمان راسخ بهذه الفكرة، ويدافع عنها، ويتمسك بها، ويضم هذا التيار الممتد على مساحة جغرافية العالم الإسلامي، صفة من كافة النخب الثقافية والدينية والأكاديمية والاجتماعية والإعلامية والسياسية والاقتصادية، وبأقى المجالات الأخرى.

ويعبر هذا التيار عن نفسه من خلال شبكة واسعة من النشاطات والفعاليات، على صورة كتابات وحوارات واجتماعات وندوات ومنتديات، وبوسائل متعددة، وبلغات مختلفة.

وما نخلص إليه في هذا الجانب، أن فكرة التقرير قد حافظت على بقائها وديمومتها، ولم تتوقف وتنقطع، أو تتلاشى وتض محل، ولم تفقد بريقها وجاذبيتها، ولم تنطفئ جذوتها وشعليتها، رغم ما تعرضت إليه من صعوبات وتحديات ومحن، الأمر الذي يعني أن بقاء هذه الفكرة وثباتها وديمومتها جعل منها فكرة حية لها إرادة البقاء.

- 5 -

التقرير.. من المفهوم إلى الاستراتيجية
في أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين، جرت محاولات عدّة لتحويل فكرة التقرير إلى إطار إستراتيجية تكون واضحة الأسس والمعالّم، وتتحدد فيها المقاصد والغايات، وذلك لدفع فكرة التقرير خطوات إلى الأمام، وإعطائها بعدها استراتيجياً، والتعامل معها وفق هذا المنظور الاستراتيجي، وإخراجها من الحيز النظري الذي كانت عليه، إلى الحيز التطبيقي.

وفي هذا النطاق، جاءت الندوة الدولية التي عقدت بدمشق في أبريل 1999م، وبحثت وضع إستراتيجية مشتركة للتقرير بين المذاهب الإسلامية، وكانت برعاية مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية في لندن، وبالتعاون مع العديد من المؤسسات الإسلامية الحكومية وغير الحكومية، ومنها مؤسسة الأزهر في مصر، ورابطة العالم الإسلامي في السعودية، ودار الحسنية في المغرب، والمنظمة الإسلامية إيسيسكو، وأكاديمية العلوم في إيران، وحضرها جمع كبير من العلماء والمفكرين والباحثين من أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة.

وفي سنة 2002م أعلن المجمع العالمي للتقرير في طهران عن إستراتيجية له في التقرير بين المذاهب الإسلامية، شرح فيها المفاهيم والمبادئ والقيم، وحدد أسس التقرير و مجالاته، وكشف عن الأهداف والمتطلبات.
وتتمة لهذه الخطوة، عقد المجمع سنة 2005م مؤتمره السنوي في طهران، تحت عنوان (إستراتيجية التقرير بين المذاهب الإسلامية).

لكن الخطوة المتقدمة في هذا المجال، هي الخطوة التي أقدمت عليها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو)، حين وضعت إستراتيجية لها بعنوان (إستراتيجية التقرير بين المذاهب الإسلامية)، إلى جانب استراتيجية لها الأخرى في التربية والثقافة والعلوم، واعتبرت أن هذه الإستراتيجية تتصل بمجال بالغ الأهمية

يرتبط بالوحدة الثقافية في العالم الإسلامي، ويتماسك الأمة الإسلامية وتضا منها .

وجاءت هذه الخطوة، بعد برنامج عملى وضعته المنظمة الإسلامية يعنى بقضية التقريب، وفي إطار تنفيذ هذا البرنامج عقدت المنظمة ندوتان عقدتا في العاصمة المغربية الرباط، الندوة الأولى عقدت سنة 1991م، والندوة الثانية عقدت سنة 1996م.

وها تان الندوتان كانتا في نظر المدير العام للمنظمة الإسلامية الدكتور عبد العزيز التويجري بمثابة القاعدة لتطوير التفكير في ضرورة وثيقة تحدد الهدف الرئيس من التقريب، وتوضح المفهوم العملي لهذا التقريب، ووضع الأسس للعمل من أجل تحقيق هذا الهدف عن طريق التعاون والتنسيق بين أتباع المذاهب الإسلامية للتغلب على كل المعوقات التي تحول دون التقريب.

وعلى ضوء نتائج هاتين الندوتين عهدت المنظمة الإسلامية، إلى فريق من العلماء والمفكرين وضع وثيقة مشروع (إستراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية).

وبيى الدكتور التويجري أن هذا المشروع جاء مستمدًا من روح الشريعة الإسلامية، ومستوحى من مقاصدها الشريفة، وقادما على أساس علمية تمثل خلاصة ما انتهى إليه الفكر الإسلامي في هذا العصر، من ضرورة التأكيد على تجاوز الاختلافات المذهبية، والارتقاء إلى مستوى المعالجة العلمية، تحقيقاً لوحدة الأمة الإسلامية الثقافية والفكرية والوجودانية، ووحدة العمل من أجل تحقيق المصالح العليا ([8]).

وفي سنة 2001م عقدت المنظمة الإسلامية في العاصمة الأردنية عمان، اجتماعاً أطلقت عليه اجتماع للخبراء خصص لمناقشة ومراجعة هذه الإستراتيجية، وذلك قبل إقرارها من الدول الأعضاء في المنظمة، وكانت واحداً من الذين شاركوا في هذا الاجتماع.

وفي مايو 2003م اعتمد المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية هذه الإستراتيجية، في دورته الثلاثين المنعقدة في العاصمة الإيرانية طهران.

وبحسب هذه الإستراتيجية، فقد جرى إعدادها على أساس علمية وفكريّة، مجردة عن المؤثرات العاطفية، والتحيز المذهبى، وبأسلوب مرن محكم، يجعله ممكناً التحقيق، قابلاً للبرمجة والتطبيق.

وفي نظر هذه الإستراتيجية، يعد التقريب عاملاً مهماً في تضييق رقعة الخلافات، والحد من انتشار ظاهرة التعصب المفضية إلى التفرقة والفتنة، وجسراً متيناً لترسيخ قيم الائتلاف والتسامح وإتباع صراط الرشاد الهادي إلى تماسك الأمة، وتدعيم عناصر وحدتها.

وترى هذه الإستراتيجية، أن مسؤولية التقريب هي (مسؤولية جماعية يشتراك فيها العالم والمثقف والفقير والأديب والداعية، ورجل الإعلام والصحافة، إلى جانب الأجهزة والمؤسسات الرسمية والشعبية، وتتطلب هذه المسؤولية ما يلى:

- 1- تحطيط عمليات التقريب، والمهن على تنفيذها، مع تبني استراتيجيات محلية منبثقة من أهداف هذه الإستراتيجية الأمم ومصالحها .

- 2- إعداد البرامج والأنشطة القابلة للتنفيذ على المستوى الوطني، وربطها بالأنشطة المماثلة في بلدان الدول الأعضاء، وتطوير أنشطتها، وإذكاء حيويتها .

3- تنمية علاقات التعاون والتكميل مع الهيئات المماثلة في البلدان الشقيقة، ومع المنظمات والهيئات ذات العلاقة، وطنياً وعربياً وإسلامياً.

4- الإسهام في إعداد حملة رسالة التقرير، وتدريبهم على نشر ثقافته، وفق أسس إسلامية وحدوية صحيحة وسليمة ([9]).

وتجزئ هذه الإستراتيجية، أنها إذا ما أعطيت حقها من التنفيذ والمتابعة، فإن مسألة التقرير التي جسدها في كامل بنيتها التنظيمية (مقدمة وأهدافاً وأسساً ومضامين ووسائل) ليست بمستعصية الحل، ولا صعبه المثال ([10]). وما نخلص إليه في هذا الجانب، أن فكرة التقرير شهدت تطوراً في غاية الأهمية تحدد في تحويل هذه الفكرة إلى استراتيجية تكشف فيها المفاهيم والمصطلحات، المقاصد والغايات، الأسس والمرتكزات، الوسائل والأساليب، وتحل منها فكرة واضحة المعالم، ولا ينبغي النظر لهذه الفكرة بعيداً عن هذا التطور الاستراتيجي.

- 6 -

التقرير.. وتحرير المعنى

بعد كل هذه الأبعاد والتطورات والاستراتيجيات، كيف يتحدد معنى التقرير ضبطاً وتحديداً.

بالعودة إلى الاستراتيجيات التي أشرنا إليها من قبل، إنها حاولت وضع تحديد لضبط معنى التقرير، فاستراتيجية المجمع العالمي، حددت معنى التقرير في الفصل الخامس بالمفاهيم، على النحو التالي:
التقارب يعني: التقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية بغية تعرف بعضهم على البعض الآخر، عن طريق تحقيق التاليف والأخوة الدينية، على أساس المبادئ الإسلامية المشتركة الثابتة والأكيدة ([11]).

أما استراتيجية المنظمة الإسلامية، فقد توسيع في تحديد معنى التقرير، وأشارت إليه من جهات عديدة، لغوية واصطلاحية وإستراتيجية عملية، طلباً على ما يبدو لتأكيد المعاني وتأكيدها، وتحدد المعنى في فصل مفاهيم التقرير ومصادره، على النحو التالي:

(مفهوم التقرير: قرب الشيء قرباً وقرباناً: دنا منه، وقارب: اقتصر وترك المبالغة، وتقارب ضد تباعد، وهو أحد المعاني الاصطلاحية المقصودة في هذه الإستراتيجية.

كما أن المقصود بالتقرير هنا: العمل على تشخيص المسائل والقضايا المشتركة بين المذاهب، والمسائل المتفق عليها في مجال العقيدة والفقه، كما يقصد به السعي لإيجاد طرق وفاق بين المسائل الخلافية، من منظور التقارب وحسن التفاهم، وبما يوضح الفروق بين المسائل الخلافية الفرعية، وبين المسائل الخلافية الأصولية، حتى لا تضيع الأصول في ترجمة الاختلافات الفرعية، مع العمل على التسلح بالدليل القاطع والبرهان الصحيح، المستنبط من مصادر التشريع الإسلامي الصحيح، دون تسرع في الحكم على أهل القبلة بأي من الأحكام المفرقة، كالتكفير أو التفسيق أو رمي المسلم بالشرك، أو اتهامه بالخروج عن جادة الإسلام، مع الالتزام بمبدأ التجدد عن التعصب المذهبى، والابتعاد عن الطائفية الضيقة، وضرورة تحري الحقيقة الإسلامية، وبناء الأحكام على أسس الأدلة الصحيحة.

وعلى ذلك، فإن المفهوم العملي للتقرير في هذه الإستراتيجية، لا يعني بأي حال إلغاء المذاهب، أو إلغاء الاختلاف،

كما لا يعني إدماج بعضها في بعض، أو الترجيح الكلي، وإنما يعني العمل على تكوين جوامع مشتركة، والعمل بالدليل الصحيح بغرض المزيد من التلاحم والتكميل الوثيق، والتفاهم العميق، وترك الغلو، وإزالة اللبس، ومحو الريب.

وزيادة في الإيضاح فإن التقرير بالمفهوم الاستراتيجي المقصود، وسيلة لجمع الشمل، ورأب الصدع، وتبادل حسن الطن والتقدير بين أبناء الملة الإسلامية الواحدة، من أجل صيانة وحدة الأمة الإسلامية، والحفاظ على مقاصد الشريعة التي تقر وتحفظ مصالح الجميع) ([12]).

وهذه التحديات لمعنى التقرير، تتطابق وتتناغم تماماً مع جوهر وفلسفة خطاب دار التقرير في القاهرة، وأشارت إلى هذا المعنى في نطاحتها الأساسية الصادر سنة 1947م، الذي اعتبر أن من أغراض جماعة دار التقرير (العمل على جمع كلمة أرباب المذاهب الإسلامية، الذين باعدت بينهم آراء لا تماس العقائد التي يجب الإيمان بها). وحين نظرت في مفهوم التقرير من جهاه اللغوية والاصطلاحية، وجدت أن هذا المفهوم يمكن تحديده على النحو التالي:

أن مفهوم التقرير يتربّك من عنصرين متلازمين هما: نفي التباعد، وتحصيل التقارب، فالعنصر الأول له طابع سلبي، ويتمثل بإزالة كل أشكال التباعد بين المذاهب الإسلامية وأتباعها، وكل ما يقع في طريق التباعد، كالجهل والتعصب والتطرف والقطيعة والانغلاق، وكل ما يؤدي إلى هذا التباعد وبكافه الصور والأشكال. والعنصر الثاني له طابع إيجابي، ويتمثل بتحصيل كل أشكال التقارب بين المذاهب الإسلامية وأتباعها، وكل ما يقع في طريق التقارب، كالتعارف والتسامح والتواصل والافتتاح والتآلف، وكل ما يؤدي إلى هذا التقارب وبكافه الصور والأشكال.

وذلك تحقيقاً لمبدأ الأخوة الإسلامية، وحماية لوحدة الأمة وتماسكها، وسعياً للنهضة والتمدن وال عمران الإنساني.

([1]) معذري الخطيب. محة التقرير بين السنة والشيعة، القاهرة: دار نهضة مصر، 2009م، ص150 .

([2]) سورة الأنبياء، آية: 92 .

([3]) حسان عبد الله حسان. كشاف مجلة رسالة الإسلام، بيروت: المجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الإسلامية، 2005م، ص15 .

([4]) محمد تقي القمي. قمة التقرير، مجلة رسالة الإسلام، القاهرة، السنة الحادية عشرة، العدد الرابع، أكتوبر - ديسمبر 1959م، ص .

([5]) محمد علي آذرش. ملف التقرير، طهران: المجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الإسلامية، 1421هـ، ص136 .

([6]) جعفر المهاجر. محمد تقي القمي في القاهرة، مجلة رسالة التقرير، طهران، العدد 81، رمضان - شوال 1431هـ، ص221 .

([7]) هادي خسروشا هي. قسمته التقرير، طهران: المجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الإسلامية، 2007م، ص40 .

- ([8]) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. إستراتيجية التقرير بين المذاهب الإسلامية، الرباط، 2004م، ص6.
- ([9]) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. المصدر نفسه، ص17.
- ([10]) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. المصدر نفسه، ص15.
- ([11]) المعاونية الثقافية. المجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الإسلامية أهدافه ومنهجه ومنجزاته، طهران، 16 مارس 2008.
- ([12]) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. إستراتيجية التقرير بين المذاهب الإسلامية، مصدر سابق، ص 38.